# الدراسة في النجف

بقلم الاستاذ احمد مجيد عيسى

## الفصل الأول

### نظرة اجمالية عن الحركة العلمية وتاريخها

غير خاف ان مدينة النجف كانت منذ ان هبط اليها الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي سنة ٤٤٣ للهجرة ولا تزال جامعة علم وآداب ودين ، وكان طلاب العلم ورواده يتجهون تربتها منذ قديم الزمان الى الآن حتى غدت مزدحمة بالعلماء وراج فيها سوق الأدب والعلم لدرجة ان المرء لا يمر بمحفل من محافلها إلا ويسمع اصوات المذاكرة بالمسائل العلمية على انواعها ويرى حلقات الحديث وثيقة العرى متماسكة الأطراف . وللقارئ ان يتصفح كتاب (امالي) الشيخ الطوسي ليطلع على عدد المجالس وما يدور فيها فانه كتاب مشحون بالاحاديث وهو شاهد صدق على تعداد المجالس العلمية والادبية. وذلك كله هو السبب الوحيد في الهجرة اليها فقد كثر فيها ازدحام اهل العلم ورجال الأدب ، وطفقت افكارهم تتبارى وأقلامهم تتسابق في حلبة التأليف والتصنيف ، وبذلك حازت النجف الرياسة العلمية والزعامة الدينية منذ القرن الخامس حتى اليوم وان اختلفت في بعض العصور شدة وضعفاً ، قلة وكثرة ولكن لم ينقطع عنها العلم ابداً وغدت تعد من العواصم العلمية التي لها الحظ الأوفر من الشهرة ، فيها كما في غيرها من المدن العلمية آثار علمية كثيرة وفيها المدارس التاريخية والآثار الأدبية وفيها محلات كثيرة تعرف بمحلات العلماء وهي تسلك في طريقة دراستها سيرة المعاهد الدينية الاسلامية الأخرى .

ولست مغالياً اذا قلت ان العهد الماضي لم يكن المجال فيه مفسوحا من قبل السلطات الحكومية « العثمانية » للتوسع في الدراسات العربية إلا في النجف نظراً لبعدها عن مراكز نفوذ الحكومة العامة مما جعل انصرافها الى سائر العلوم العربية شيئاً طبيعياً .

وقد قررت الحكومة العثمانية (السلطة الحاكمة) لطلاب العلم منهجاً خاصاً عند اعلانها التجنيد الاجباري وطلبت من الطلاب السير بموجبه لتأدية امتحان تشرف هي عليه فمن نجح في هذا الامتحان أعفي من خدمة العلم وإلا انخرط في سلك الجندية بيد ان هذا الأمر لم يؤثر في دراسة النجف شيئاً إذ لم يعر الطلاب هذا الأمر اهتماماً بل ألقوا بالمنهج عرض الحائط لا يسيرون بموجبه إلا وقت الامتحان بغية النجاح والتخلص من الجندية .

هذا الى ان الدراسة كانت على اشدها في ذلك العهد إذ كانت المدارس مبثوثة هنا وهناك كالمدرسة المهدية ومدرسة المعتمد وغيرهما كثير يؤمها طلاب العلم يتلقفون منها سائر العلوم المختلفة .

وبعد ارتفاع النير التركي وبعد الحرب العامة الماضية « سنة ١٩١٨م » وتشكيل الحكومة الوطنية فكرت السلطة الحاكمة توسيع الثقافة ونشرها في سائر انحاء العراق فنالت النجف القسط الوافر من هذا الاهتمام وأنشئت فيها المدارس الرسمية والأهلية هذا علاوة على ما كان فيها من المدارس الدينية إذ أسست مدرسة الغري الابتدائية الأهلية نتيجة اجتماع ، تم من قبل نخبة من افاضل النجف وبيوتاتها العلمية وأشرافها

---

نظريته المادية ان الوجود لم يكن إلا عند اتصافه في حالة افعال الخير فيسمى وجوداً نفسياً اعني نفس ذلك الفعل لا نفس تلك الاجرام من عضاء الجسم وانما هو نفس الفعل لأن جميع الشرور غير متحققة في الخارج والأديان الثلاثة هي من نفس الوجودات النفسيه لما فيها من هداية وعناية بالبشر وانقاذهم من بؤرة العدم والشرور الى ذروة الوجود والفضيلة فلا يكون فيلسوفنا ( هوفو ) مخطأ في مدعاه ونظريته وهذا بحث قد كتب عنه اكثر فلاسفة المسلمين واعلامهم واول من اشار اليه امام البلاغة والفلسفة الامام علي بن ابي طالب ، في نهجه والتعرض الى الوجود والاعدام ومشى على حذوه وخطاه العلماء المفكرون ومن بينهم الشيخ الرئيس ابن سينا فقد أدلى بحجج وبراهين قويمة لا يمكن دحضها والتملص عنها فجاء (هوفومار كروليم) فاخذ من بين ذا وذاك اكبر نظرية ازعجت الأفكار واقامتها عن مراكزها ولو تدبروا لها وفكروا فيها لوجدوها اقرب الى الذهن وادنى الى الواقع .

بغداد [ يتبع ] الدكتور اسحق خضوري نبيه

وشيوخها وفي طليعتهم المرحوم الشيخ جواد الجواهري والمرحوم السيد محمد علي بحر العلوم هذا في الوقت الذي كان يسعى فيه جماعة من الأفاضل لتأسيس كلية دينية .

اما النجف اليوم فقد أصبحت مدينة جامعة علمية تضم مدارس عديدة ( بالأضافة الى المحلات الأخرى للدراسة وهي الصحن الشريف والمساجد ) تدرس فيها شتى العلوم والفنون ولكن الصبغة والرونق للعلوم الدينية .

فالنجف جامعة دينية قبل كل شيء هي في العراق كالازهر في مصر .(١) إلا أن الأزهر أثرت فيه الحضارة المصرية والحركة الفكرية فحوراه وهذبا، ورتباه والنجف لم تجد من نفسية القطر ما يؤثر فيها . والروح العلمية التي نشأت في الاثنين روح عربية، اما القول بان الروح الفارسية سيطرت على النجف فليس من الصحة في شيء ذلك لأن الذوق العربي كان يسيطر على النجف بجميع انحائها حتى سيطر على الرجال « العلماء » الفرس انفسهم ، فهذا الشيخ ملا كاظم الخراساني رجل فارسي إلا ان كتابه [ الكفاية ] لايتمثل فيه إلا الذوق العربي والاستشهادات العربية وهذا الشيخ اغارضا الاصفهاني رجل فارسي ايضاً بيد أنه كان شاعراً عربياً من مشاهير شعراء النجف البارعين وله شعر رقيق ، وغير هذين الرجلين كثير فأين تأثير الروح الفارسية في النجف ؟ !

وإذا اردنا ان نحصر العوامل المنبهة للحركة الدينية نجدها تتلخص فيما يلي :

١ — هجرة الزائرين اليها وحمل الهدايا والأموال الى القاطنين فيها بعامل الدين .

٢ — سكنى المراجع العامة (العلماء) المقلدة من قبل الشيعة.

٣ — ايمان الأقطار الخارجية بالحركة في النجف وبعثهم رجالا يتفقهون بالدين .

اما العوامل المنبهة للحركة الرسمية فهي :

١ — الحرب العظمى .

٢ — الكتب المصرية .

٣ — روح سوريا المجاورة .

٤ — ارتفاع النير التركي من الأمة العربية .

٥ — الصحف التي ظهرت ايام الانقلاب الفارسي وبعده .

ولا ننسى ان لمجلة « العلم » وجريدة « النجف » الأثر البين إذ كانتا تجرفان عقبات التأخر والجهل . وقد اندرست آثار كل منهما .

## ﴿ الفصل الثاني ﴾

### انتقال الحركة الدراسية

لو استقصينا الحركة العلمية أو بالأحرى الدراسة في النجف لوجدنا انها لم تنبت حيث تقع النجف ولم تخلق في تربتها وانما انتقلت اليها من العواصم العلمية الأخرى حيث كان يتعهدها رجال العلم والدين فأتت اكلها في النجف جنياً .

ولهذا الانتقال أسباب تدعوا اليه إلا ان السبب الرئيسي له هو انتقال الرئيس الديني العلمي [ زعيم الحركة العلمية ] فحيث انتقل الرئيس وحيث حط رحاله شدت المطايا وكثرت الهجرة لتلك المدينة التي هاجر اليها . فكل انتقال لابد ان يكون تحت رئاسة بعض العلماء . ولكن ما هو سبب انتقال الزعيم ؟ سببه يرجع الى :

١ — اما ان يكون الرئيس من اهالي أو سكان ذلك البلد الذي ينتقل اليه .

٢ — سوء الحالة الاقتصادية وقلة اسباب المعيشة في تلك البلدة التي كان فيها .

أو لأسباب أخرى . ونحن نعرف ذلك من قراءتنا لترجمة حياة العالم الديني الذي كان يترأس الحركة في تلك البلدة .

كانت الدراسة اولا في بغداد « مدينة السلام » ومدينة العلم والأدب التي كانت ايام العباسيين اشبه ببودقة تصهر فيها العلوم المختلفة لتخرج الى العالم عالماً ناضجاً والتي لاتزال اندية العلم فيها معمورة » فانتقلت الى النجف لانتقال الزعيم الشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن المعروف بالطوسي سنة ٤٤٣ للهجرة وكان انتقاله نتيجة ما لاقاه من الاضطهاد والأذى من اعدائه ونتيجة الثورة التي حدثت بين اصحابه واعدائه ، فقد هجم الناس على بيته واحرقوه ولم يكتفوا بهذا المقدار بل اخذوا يكيلون له العذاب وهو يسير في الطريق ، وللتخلص من هذا العذاب انتقل الى النجف وسكن فيها واتخذها دار اقامة له ولايزال قبره ظاهراً في احد مساجدها يطاول الزمن .

(١) وسنأتي بعد ذلك على المقارنة بين النجف والأزهر بفصل خاص عنوانه « المقارنة بين النجف والأزهر » .

انتقلت الدراسة الى النجف ولبثت فيها حقبة من الدهر من سنة ٤٤٣ هجـ حتى منتصف القرن السادس للهجري تقريباً يتعهدها العلماء الأفاضل والأساتذة الفطاحل (١) — ثم انتقلت منها تاركة اياها الى الحلة الفيحاء :

١ — لما اصاب طلاب العلم وعلمائها من الأذى لقلة المياه في النجف .

٢ — لهجوم الأعراب المتكرر على النجف . فقد ذاق النجفيون آنذاك الأمرّين من هؤلاء الأعراب .

٣ — لغلاء النجف .

٤ — لانتقال زعيم الحركة العلمية العلامة الشيخ صاحب السرائر الى الحلة لأنه كان حلياً .

إلا ان ان الحركة لم تلبث ان رجعت الى النجف بعد أن سحبت المياه اليها واهتم بايصاله اليها كثير من السلاطين والعلماء وغيرهم . فقد قام الصاحب عطاء الملك بن محمد الجويني سنة ٦٧٦ هجـ بحفر نهر التاجية ثم جاء بعده الشاه اسماعيل الاول الى النجف فأمر بحفر نهر الشاه سنة ٩٦٤ هجـ وتلاه الشاه طهماسب الصفوي فأمر بحفر نهر الطهماسية نسبة اليه سنة ٩٨٠ هجـ ثم حفر الشاه عباس عند وفوده الى النجف نهر المكرية سنة ١٠٣٢ هجـ . هذا بالاضافة الى الاحتياطات التي عملت « كبناء الأسوار » لتقليل اثر الأعراب التخريبي والى ما قامت به الحكومة من الأعمال لغرض تقليل ذلك اوابادته وكان هذا الانتقال في بحر القرن التاسع بعد أن لبثت في الحلة ما يقارب ثلاثة قرون .

ورغم رجوع الحركة الدراسية الى النجف ورغم لبثها فيها مدة تقارب ثلاثة قرون « إذ أنها بقيت في النجف حتى منتصف القرن الثاني عشر تقريباً » فقد انتقلت منها للمرة الثانية ولكنها لم ترجع الى الحلة بل انتقلت الى كربلا وكان ذلك مسبباً عن .

١ — ما أصاب النجفيين من الوباء الذي انتشر آنذاك

٢ — ما أصاب النجفيين من الأذى بسبب حادثة المشعشعين وهجومهم على النجف .

٣ — انتقال زعيم الحركة العلمية العلامة الشيخ احمد ابن محمد بن فهد الحلي اليها .

وبقيت الدراسة في كربلا الى زمان صاحب الحدائق والشيخ اغا البهبهاني والسيد مهدي آل بحر العلوم حيث انتقلت الى النجف سنة ١٢١٢ هجـ فتعهدها كل من السيد مهدي آل بحر العلوم والشيخ حسين نجف والشيخ جعفر آل كاشف الغطاء واستقرت في النجف حتى يومنا هذا .

ومن ذلك نستطيع ان ندرج جدولاً يبين المدة التي لبثت فيها الدراسة في المدن التي انتقلت اليها ويبين زمن الانتقال بصورة تقريبية :

انتقال الدراسة من بغداد الى النجف سنة ٤٤٣ للهجرة

| | | | |
|---|---|---|---|
| مدة بقائها في النجف | من | ٤٤٣ — ٥٦٠ | « |
| « « « الحلة | « | ٥٦٠ — ٨٥٠ | « |
| « « « النجف ثانية | « | ٨٥٠ — ١١٥٠ | « |
| « « « كربلا | « | ١١٥٠ — ١٢١٢ | « |
| « « « النجف ثالثة | « | ١٢١٢ — الآن | . |

وقبل رجوعها الى النجف للمرة الثالثة تفرعت ومدت اطرافها الى المدن الأخرى القريبة منها والبعيدة : فقد انتقل قسم منها الى سامراء وقسم الى اصفهان وقم في ايران وغيرها قال المولى احمد لولده محمد صالح إني عاجز عن تحمل مؤنتك فهاجر الى اصفهان فذهب وسكن بعض مدارسها حتى اصبح من العلماء الأفاضل وكان يعطي كلا حسب رتبته في العلم . وكذلك هرب عز الدين عبد الله بن الحسين الشوشتري من كربلا الى اصفهان ونشر فيها الفقه وباقي العلوم الأخرى ، ويمكن ان يقال ان انتشار الفقه في اصفهان كان بسببه لأنه لم يكن في اصفهان من الطلبة ما يجاوز الخمسين ولكن العدد كان عند وفاته سنة ١٠٢١ هجـ اكثر من الألف . ولا تزال المدارس موجودة في اصفهان والدراسة مستمرة فيها .

ومما تجب الاشارة اليه ان انتقال الدراسة من النجف الى البلدان الأخرى ليس معناه انعدامها في النجف بالمرة بل قلتها ليس غير . ولا يزال طلاب العلم في سائر البلدان يرون دراستهم ناقصة إن لم يأتوا الى النجف لتكميلها وربط اطرافها واحكامها احكاماً تاماً . ( يتبع ) احمد مجيد عيسى

(١) سيأتي ذكرهم في فصل خاص بعد هذا الفصل مباشرة .

المحامي
فاضل عباس معله
يتوكل في كافة الدعاوى داخل النجف وخارجها